الحرب ضعف [1]

لا أدري — يا أستاذي الكبير — كيف أن متقناً يظلم انساناً ، أو يغتصب حق مسكين ، ولا أدري كيف ان انساناً يسعى بالشرّ وبالمكروه الى أخيه الانسان إلاّ إذا كان ذا قلب رخامي وعقل جامد بليد ، ان هذا الانسان الطاغي المستبد مظلوم مسكين ، غرّرت به الأيام فنشأ في دروبها وصار في أزقتها الحالكة ففقد الايمان بنفسه وفقد الايمان بربّه ، وظنّ أن تحطيم المصابيح الهادية في قرارة نفسه سيكسبه ضوءاً يتطلع بوساطته الى المستقبل بشيء من الزهو وشيء من الكبر . فأتت عليه النار وأكتنفه الظلام فتكبر لنفسه وأجمل ذاته ، وأمات فكره وقنع على الناس وأهمل الخير ... تعساً لهذه الحياة ان كانت غايتها الحرب ، وتعساً لهذه المدنية التي شادها الانسان على جماجم أخيه الانسان ، انها حياة زائفة بغيضة ، ومدنية باطلة خاوية ... أتعادل تلك الارض التي تُكتسب في الحرب وتلك الاموال التي تُسلب في القتال ، وتلك الاسواق التي تفتح لتصريف البضائع وأخذ الغلاّت ومواد الطعام من المستعمرات ، وتلك الانفس التي تُسخر وتستذل بعد حريتها في الغزو . أيعادل هذا كله ثمن هذه الدماء المسفوحة ، والاشلاء المتطايرة ، وهذا الخراب الشامل والفجيعة القاتلة المميتة .

إن هؤلاء الأساتذة الذين لقنوا هذا الشاب هذه العلوم التي تفتك بالأرواح بغير عد أو حساب ، وان هذه المدنية التي عاش الانسان في جوّها وتنفس هواءها المشبع برائحة البارود وشواء الاشلاء كل هؤلاء أعداء للانسان .

فلو أن الأب علّم ولده وهو طفل صغير ، لو هم نفسه وآمن بروحانية هذا التعليم

---

(١) كتب هذا المقال بعد قراءة مقال الاستاذ الكبير الحداد الذي كتبه في متنطف بناير ، جدال بين الحرية والعبودية) .

— لو علمه وعلم نفسه أن يحترم حق سواه وأن يجل أخاه الانسان ، لو أبات في فكره وفي نفس ولده نزوات انطائفية ، وحماقة العنصرية ، وخرافة الاستعمار ، لو أمات هذه كلها في نفس ابنه الناشىء الصغير — ما رأيت هذا الابن قد مال الى الشر أو فكر في الحرب ولوجّه هذا العقل الذي وجد كي يعدل الخير ، ولوجّه هذه القوى الهائلة الى إزالة الذلة والمسكنة ، والى محاربة المرض والفقر والجهل في العالم .

لو أن هذا الاستاذ فهم الشباب والحقوق والواجبات ، لو أمن الأستاذ نفسه بهذه العلوم التي يدرّسها ، ثم سعى لتفتح براعم التفكير في الشباب فعلمهم الخير وعلمهم العطف والرحمة والحنان والوفاء ، لو علمهم روح هذه الكلمات لا حروفها وفلسفتها لا ظواهرها ، لو حدّثهم بأن الحرب أعمال وحشية وأفعال تخريبية وانها من أعمال رجال الغاب ومن تفكير الانسان الأول ، وأن على الجيل الحاضر أن يكون سامياً في تفكيره مميزاً عن الإنسان القديم بأعماله ، لو علمهم أن على الجيل الحالي تحطيم أصنام الماضي وتكسير أغلال العادات وسلاسل التفكير .. وان العقل في تطوّر مستمر وان التفكير في تجدد وارتقاء وما كان مألوفاً ومستساغاً قد لا يكون اليوم .

لو أن هؤلاء الأساتذة فهّموا الشباب بأن الحرب وسيلة مشوّهة للمطالبة بالحقوق ، وان في العجز وفي الضعف الالتجاء لطريقة كهذه في تطبيق رأي أو نشر فكرة — فكما أن الحيوان الأعجم لا يجد وسيلة يلجأ إليها للحصول على قوته أو للدفاع عن نفسه غير الهجوم على الفريسة أو مقاتلة الخصم — وهو لو علم طريقة غيرها لالتجأ إليها — كذلك هذا الانسان يلجأ الى الحرب ان عجز عن الرأي الغائب ... ألم تقرأ أن الحيوانات التي وُجدت غذاءً وقراً والتي اطمأنت على فراخها في الأكل والافتراس والتي عاشت مع الانسان — هذه القرون الطويلة — قد استأنست به قد غيرت من طباعها الوحشية كثيراً أو انها نسيت تلك الطباع التي لا تحتاجها في معيشتها الجديدة ، فالدجاج نسي الطيران لأنه وجد الحب واعتمد على الانسان ، والكلاب ارتقت عن فصيلة الذئاب ، فما بال هذا الانسان لا يزال على انسانيته الأولى لم يتخلب من طباعه القديمة ولم يرتفع بفكره عمّا ألف آباؤه وأجداده ، فماش في مستنقع من الخرافات وقيد من أثقال العادات ... أرأيتم عالماً تخاصم مع زميل له في رأي أو تحاورا وتناقشا في مسألة في اختصاصهما فلجأ كل منهما الى السلاح يستنصره على الخصم ويستعين به في التغلب على رأي زميله ؟! .

الحرب عجز والحرب ضعف وان كانت بث الموت وتُظهر القوة وتنشر الرعب ، الحرب سخرية من تفكير الانسان ، ورجوعه بأعمال العقل ، في الحرب يتساوى الانسان

والحيران الغريزي الأعمال . . ليس هناك مشكلة الا وبالامكان وبالسهولة حلها بالرأي الصائب والمنطق السديد والايمان الثابت . ليس هناك حرب إذا تعلمنا التسامح في الرأي والحرية في المعتقد، لو تعلمنا أن اختلاف الرأي لا يفسد الوداد أو يأتي على المحبة ، لو أن هؤلاء علموا الشباب بهذا كله لنبذوا الحرب وعاشوا اخوة ولأسكتوا نقيق الضفادع ونعيق الغربان الداعية الى الحرب ، ولو أن هذه المدنية التي أنشأها الانسان وغذاها الفكر كانت كما أريد لها أن تكون — لا كما هي اليوم — لعاش فيها الناس آمنين مطمئنين منعمين بكل هذه الخيرات التي أسبغها الله على خلقه والتي تفي بحاجات الناس وتشبع أهواءهم . . .

أهكذا — وسريعاً أخرس أنصار الحرب وشياطين الموت أصوات السلام المثائرة بأزيز مدافعهم وعربدات قنابلهم .

أهكذا — وسريعاً يحمل زبانية الجحيم وأبالسة الشر على النقاط فيكتسحون فريق السلام أمامهم بملكون القوة[1] ويملكون قنبلة الهيدروجين وصواريخ الموت واشعاعات الهلاك فتوارى أنصار السلام وتساقطوا دفاعاً عن مبادئهم كتساقط الفراش على مواقد النيران . . .

لا لا أنا لا أصدق أن الباطل ينتصر على الحق ، ولا أصدق أن المنكر يقوى على صدّ الخير والاحسان ، اني أرثي لهذا الانسان الذي وحد الخير في الحرب . ان هؤلاء الذين استساغوا حياة الحرب ورائحة البارود أنانيون يريدون أن يحجبوا نور الشمس بالأكف يريدون أن يستأثروا بضوء القمر ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . يريدون أن يستأثروا بالحرية وبالحياة وبكل شيء ... الويل لمن أراد أن يشاركهم حق العيش وحق الحياة سيثورون ويحطمون كل شيء ، وسيقتلون النساء ، والشيوخ ، والأطفال ، والعجزة ، سيفعلون كل هذه الأفاعيل باسم السلام وباسم الحرية ...

مع هذا كله فأنا أرثي لهم وأعطف عليهم انهم مساكين بؤساء فقدوا الاستقرار النفسي، وفقدوا الثقة بأنفسهم، وأبطلوا أعمال العقل فتدافعوا وراء غرائزهم ، وتزاحموا وراء عواطفهم، سيندمون على ما اقترفوا من آثام ، وسيقولون ليتنا عملنا صالحاً ، وفعلنا لأخينا الانسان احساناً، سيشقون بأعمالهم ، وسيندمون ولات حين مندم .

العراق — الناصرية — عبد الكريم الدجيلي

(١) أصبحت القنبلة الذرية بعد المنكير في القنبلة الهيدروجينية وسيلة قديمة من وسائل الحرب